جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
EISSN: 2588-2384،ISSN: 1112-4377
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الحضارة الإسلامية والدلائل الفنية

The Islamic Civilization and the Artistic Proofs

سعاد بن شامة[1]
s.benchamma17@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/01/31 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 31/01/2025 published: 01/06/2025

الملخص :

سنبحث في قدر التكامل الذي انسجمت فيه القيم مع المظاهر الفنية، وفق المرجعية الإسلامية التي حققت حضارة راقية في التاريخ الإنساني. كما نهدف إلى الإحاطة بجوانب من الأسس التي بنت الحضارة الإسلامية، وتأكيد أثر التوحيد الذي لازمه الفن ذو الدلالات والتعابير الراقية في جوهرها.

تضمّن العمل البحثي قسمين أساسيين؛ الأول يخص القيم وأثر التوحيد في صياغة سلوك النفع العام والثاني يمس الجانب الفني الإسلامي والذي أنتج نوادر من المعالم والصناعات والزخارف.

تتضح النتائج في الدلائل والمظاهر التي أثبتت أثر القيم والفنون كأرضية حقيقية في بناء الحضارة الإسلامية ومنه تأكيد قيامها على ضوابط في جوهرها الترفع والتعلق بالجمال المطلق.

كلمات مفتاحية: القيم، التوحيد، الفن، الحضارة الإسلامية

Abstract

We will examine the degree of synergy between Islamic values and artistic manifestations, analyzing their contribution to the development of a distinguished civilization within the framework of Islamic principles. Furthermore, it will delve into the fundamental aspects of Islamic civilization while emphasizing the profound impact of monotheism on art, its symbolic connotations, and expressive forms. The research comprises two. the influence of monotheism and Islamic arts. The results are evident in the evidence and manifestations that have proven the impact of values and arts as a solid foundation for building Islamic civilization. This confirms that it is based on principles whose essence is elevation and attachment to absolute beauty.

Keywords: Values, monotheism, art, Islamic civilization.

1 – المركز الجامعي عبد الله مرسلي بتيبازة,

مقدّمة:

حققت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة الإنسان، كان منبعها قناعة التمكين للأمة الإسلامية "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"(سورة :آل عمران، الآية 110)، فلجوهرها دلالات قطعية على تواصل الخيرية في أمة تعي الواقع وتتصور بعين البصيرة، أمة راقية بإنسانيتها، أمينة على الخير العام .وإن تأكيد ما جاد به التفوق الحضاري الإسلامي ظهرت آثاره على واقع المسلمين وغيرهم، فبرز من المسلمين أهل فكر وتصور وجهوا حضارتهم، فلم تعرف الحضارة الإسلامية قوتها من جانب واحد فقط وإنما تكاملت في كل فتراتها بين اشتراك الحكام والعلماء . مختلف العلوم . والرحالة الجغرافيين والفنانين من معماريين وصناع وموسيقيين. ازدهرت الحضارة الاسلامية بالفكر والعلم بينما كانت مناطق من العالم تعرف القصور الفكري . أوربا في عصورها الوسطى .

عن الإشكالية البحثية ننظر في أثر القيم الإسلامية بالموازاة مع أثر المظاهر الفنية، التي تلاقحت فأنتجت سموا للمسلم. وسعيا منا لإقرار أن الفن في إطار الضوابط الشرعية الإسلامية إنما كان عاملا ضروريا في الرفاه الحضاري، مما حقق الصورة المادية التي حسّنت النمط المعاش في إطار خدمة الإنسان. والنظر أيضا فيما حقق جمال السلوك وجمال الفن كبوادر مهدت للحضارة التي أثرت أكثر مما تأثرت وإن كان هذا الأخير ففي إطار فقه التحسينات دون ثوابت القيم.

1. التوحيد أساس الحضارة الإسلامية

1.2 بعد آخر للتوحيد:

بقدر ما تجلى أثر التوحيد على السلوك العام، فهو في المجال الفني . العمارة والصناعات والزخرفة . له تأثيره ومساهمته الواضحة في التأسيس لشطر من الحضارة. وإننا نقدر كثيرا الجماليات في الفن الإسلامي تقديرا ينبع من رؤيتنا للمرجعية الفنية التي تأخذ منابعها من أثر التوحيد، لاعتبار أن هذا الفن إنما تربى في بيئة اسلامية المعتقد. فكان "التوحيد هو العامل المشترك الأوحد بين جميع الفنانين المؤمنين بنظرة الإسلام للعالم والكون، مهما كانوا متباعدين جغرافيا أو عرقيا" (الفاروقي، 1998، الصفحة151). حيث نرى التوحيد وقد خلق ابداعا جديدا في الفن الإسلامي وجعل له نظاما وخصائصا لها فعالية وحركة في الواقع المعاش.

في القرآن الكريم صور مبهرة لمشاهد الحياة ما بعد الموت، من مشاهد وسماع لما في الجنة. صوّر جماليات كثيرة لم تتأت لولا التوحيد، بتعبير آخر كلما اقترب الشيء المنظور من الجوهر كان أكثر جمالا (الفاروقي،1988، الصفحة 146) وما الإتقان وتسخير الفنان المسلم جهده وقوى فكره وأحاسيسه لإنتاج القطع الفنية إلا دليل على التصور السليم للجمال الكوني.

2. الشروط البيئية عوامل لقيام الحضارة الاسلامية:

تعد الشروط البيئية أرضية لقيام الحضارة الإسلامية، وتحدد – عموما – في المدة الزمنية الكافية والاستقرار السياسي والأرضية الفنية.(بن نايف،1988،الصفحة،10).فعامل الوقت كان إطارا زمانيا منح فرصة لتأقلم المسلمين مع الأوضاع في المناطق التي وصولها واستقروا فيها. أما الاستقرار فهو في حقيقته أوقات سلم وسلامة من حدة الاضطرابات مما سمح بالتوجه نحو النظر في تحسين المعاش والبناء. فقد تدخل الحكام بشكل مباشر في توجيه التعمير الذي كان ضابطه المعتقد الاسلامي. أما ما تعلق بالأرضية الفنية فإن انفتاح المسلمين على فنون الحضارات الأخرى في بدايته تماشى معها ولم يلبث أن صاغ جماليات فنية من إنتاجه، بحيث عرف الفن الإسلامي خصوصيه و مميزاته التي يُقرأ بها ولا تغيب عن كل عين متبصر ذوّاق.

3. ضرورة تكامل بُنى الحضارة بين القيم والمادة:

إن القيم لها مصدرها الذي يخلو من العبث في الكون، فالتشريع الإسلامي من السلامة بحيث يمكن تجسيده، فقد امتثل له صناع الإنسانية المتحضرة بكل تفوّق، حيث أن قيم الحضارة الاسلامية بنت الفرد على أساس بعيد عن الخيال، إن لم نقل كثير فيها المنطق وقبول العقل، فهي القرآن والسنة لا إشارات إلى اعتماد الأساطير والخيال كدعائم بناء للفكر الإنساني. فالحضارة الإسلامية تقوم على ثلاثة أسس أو قوانين الأول؛ رفض جميع ما لا يتطابق مع الواقع، الثاني؛ انكار التناقضات المطلقة، الثالث، الانفتاح على الأدلة الجديدة أو المناقضة. (الفاروقي،1998، الصفحة131)، وهي التي كرامة الإنسان وتحفظ عليه نفسه وماله.(عبد الجواد،(ب. ت)،الصفحة89). وأصبح للقيم أثرها في صناعة "الصفة" التي اتصف بها الفنان فأصبح يطلق عليه بالفنان المسلم . المعماري والصانع والمزخرف .

تعد القيم الخلقية العامة والقيم السلوكية المستمدة من الدين الإسلامي مظاهر لتنظيم العلاقات العامة داخل المدينة الإسلامية وبالتالي تعد جانبا من تكامل العمران في شقيه المادي الهيكلي والإنساني القيمي.

4. التوسع الجغرافي الحضاري الإسلامي:

ارتبطت الحضارة الإسلامية في أساسها بقيام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة (الشكل:01) التي اكتملت فيها النظم وعرفت شموليتها. وشغلت من حدود الصين إلى الهند إلى شمال إفريقيا والقسم الغربي من أوربا . الأندلس والبرتغال. و عرف العصر العباسي أقصى توسع للمد الإسلامي(الخريطة:01). وأصبحت الحضارة الإسلامية من اكثر الحضارات التي عرفت تنوعا شديدا للأجناس . عرب، فرس، روم، ترك وغيرهم . وحدث الانصهار الثقافي وتبلورت معه في هوية المسلم ، هذا التوجه الذي احترم التنوع واقتدر على صياغة من تحلوا بالقيم النبيلة ونفذوا شتى أنواع الفن.

(الشكل:01) مخطط المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

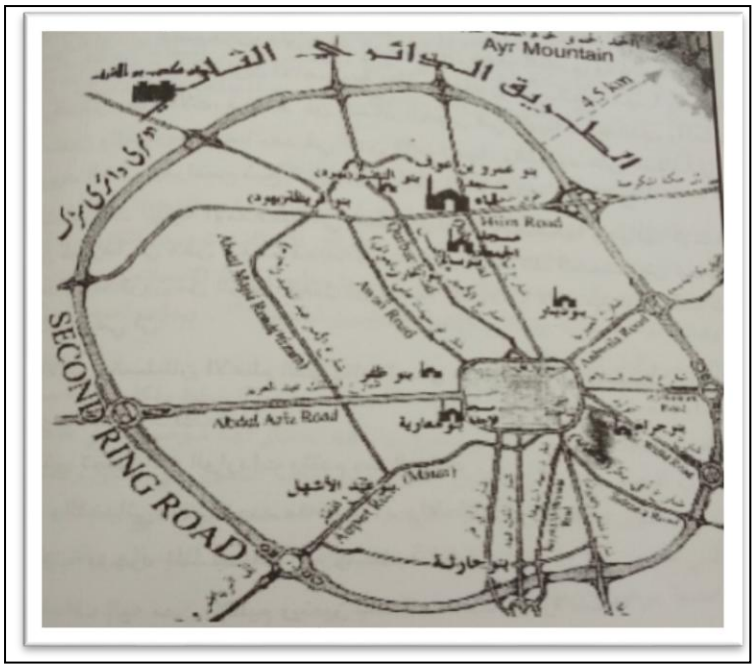

المصدر: (خلف الله بوجمعة، المدينة الإسلامية، ص 153)

(الخريطة:01)الدولة العباسية في أقصى اتساعها(850م)

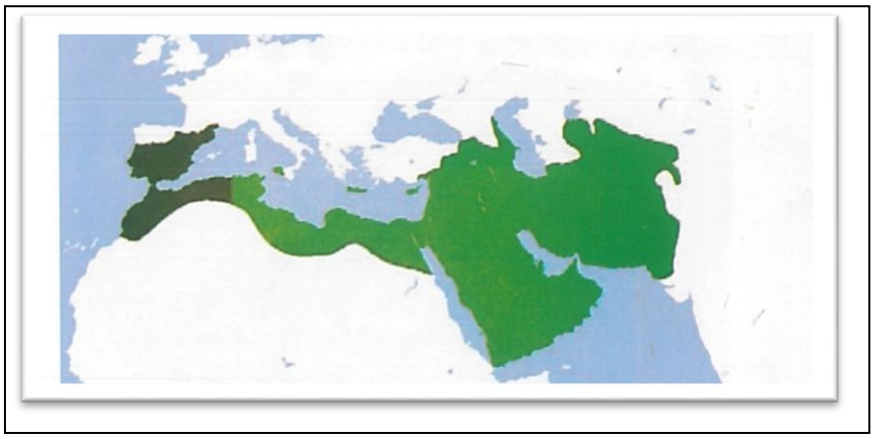

المصدر: قاسم عبده قاسم، الحضارة العربية الإسلامية،ص30.

5. موجز لمراحل الفن الإسلامي:

حين نتحدث عن الإنسان والفن؛ فإننا أمام رعاة لهذا الفن وهم بين حاكم محب للعلم ومشجعا للفن و هي صفات يمكن أن تتجلى في عالم وتاجر وغني، ممن يحملون ثقافة مميزة. ويرى توفيق حمد عبد الجواد في مقدمة له أن "بنيان الحضارة يتأسس بالثقافة وعلومها وأن "الثقافة توأم الحضارة"(توفيق،(ب.ت)، الصفحة ب وج). وعليه يمكن أن نبين أن الفن الإسلامي . المعماري والصناعي والزخرفي عرف مراحلا مهمة، نوجزها فيما يلي:

. المرحلة الأولى: هي المرحلة التمهيدية، خلالها ركز النبي محمد صلى الله عليه وسلم على تمتين العقيدة في النفوس وهو ما سهّل التمكين للدولة الإسلامية الأولى بكل أسسها ويكاد ينطبق على الخلفاء الراشدين من بعده فأهم ما ميّز فتراتهم هي الفتوحات الإسلامية .ولم تشهد الفترتين ظاهرة التشييد والعمارة وإنما الاهتمام ببدء التوسع الإقليمي للإسلام خارج الجزيرة العربية.

. المرحلة الثانية: بدأ فيها الاهتمام بالعمارة والصنائع وغلب التقليد، فبعد ما انتقل المسلمون إلى الشام، دخله غير العرب، ظهر فيها الإنتاج الفني بتداخل مع سمات فنون الحضارات الأخرى التي وجدوها في الأقاليم التي فتحوها وهي توازي الفترة الأموية التي حملت تجربة فنية إسلامية.

المرحلة الثالثة: أهم الفترات وتوازي الفترة العباسية التي استقل فيها الفن الإسلامي بخصائصه وتميز كفن قائم بذاته، تميزا حقيقيا وواضحا وأصبح له خصائصه التي لا يصعب تمييزها ورؤيتها، مؤكدة فيما أنتجه المسلمون وبرعوا. كما عرفت هذه المرحلة ابتكارات فنية مؤكدة تفوقوا فيها، في النماذج المادية في مدن العالم الإسلامي والمحفوظات في متاحف الوطن العربي والغربي.

6. خصائص الفن الإسلامي:

إن الإنتاج الفني المحدد في العمارة والصناعات التطبيقية والزخرفة بأنواعها دعائم مادية استمدت من خلال "تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"(الآلوسي،2016، الصفحة 50). وتعدد خصائص ومميزات الفن الإسلامي ونذكر منها: . الوحدة مع التنوع . التجريد . كراهية تصوير الكائنات الحية . الابتعاد عن التجسيم . كراهية الفراغ . كثرة الزخرفة . الألوان.(غولي،2015، الصفحة من75 إلى83).كما يمكن إضافة خصائص أخرى أكثر دقة من الناحية التنفيذية والمتمثلة في(الحركة، الاتساع، التوازن، التشعب، التماثل، التكرار، (الدراسية وعبد الهادي،2014، الصفحة من 48إلى69)وتعتبر هذه الخصائص وليدة العلاقة الوطيدة بين الفنان المسلم وبيئته وحتى وإن كانت في بدايتها مختلطة مع الفنون المعاصرة للفن الإسلامي، نجده في فترة ذروة الازدهار . استقلاليته بخصائصه وتميزه بإسلاميه . يؤثر في تلك الفنون، في هذا الصدد يشير جورج مارسيه" ليست شخصية الفن الإسلامي موضوع جدل..."(شريقي،2012،الصفحة132)

7. نماذج من المظاهر الفنية الإسلامية:

7 –1 العمران وتأسيس المدن :

خضع العمران الإسلامي إلى الضوابط المستمدة من قيم ونظم الشريعة الإسلامية التي نظمت العلاقات داخل المدينة، وهو ما انعكس على نمط تخطيط نسيجها العمراني بتوزيع العمائر بما يحفظ الحريات العامة ويحترمها، كما اعتمدت الأعراف مرجعا لتنظيم الحياة العامة داخلها. ولقد ضبط الدين الإسلامي نظام الحياة داخل المدينة الاسلامية، وخضع المجتمع الإسلامي لتوجيهاته وتعاليمه في تأطير العمران وتوجيه العمارة، وفق فقه العمران الإسلامي، بما يحقق النفع العام وقد حرص الخلفاء والحكام والولاة والقضاة على تطبيقها في المدن الإسلامية في التاريخ، مما حفظ للمسلمين تماسكهم ووحدتهم. ونوجز هنا أوجها من الفقه العمراني وما تعلق منه بالمدينة والبناء:

. لا ضرر ولا ضرار: استمد هذا المبدأ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار" والذي يعمل به في مسألة الأبنية المتجاورة وهو قاعدة أساسية في مسألة البناء والهدف منه حفظ الحقوق وترسيخ الاحترام العام.

القرابة: اعتمدت المدن الإسلامية الأولى على مبدأ توزيع الأحياء وتنظيمها فيها على أساس القرابة، مراعاة للانتماء القبلي. وكان الهدف تحقيق التماسك الاجتماعي وتعزيز الالتحام. كما للطريق حقوقا أولاها الدين الإسلامي أهمية خاصة لأهميتها في تحسين العلاقات بين المسلمين والحق في استغلال الطريق من السعة والنظافة وهما شرطان ماديان. أما تحقيق الشروط المعنوية فهي الاحترام العام من غض للبصر وافشاء السلام .

. تطبيقات العرف: يلجأ الى تطبيق الاحكام العرفية بحيث يعتمد على ما تعارف عليه المسلمين في اطار ما يجلب النفع ولا يحدث ضررا في هدف فك النزاعات المتعلقة بالحياة الاجتماعية والمسائل الإنشائية وهو ما يعرف بنوازل البنيان.

. المقاصد والمصلحة: تعد مقاصد الشريعة هي أساس تحقيق المصلحة. لذا يعتمد عليها الفقهاء في تنظيم الحياة العامة داخل المدينة وتلك المقاصد . الأصول . تدعو وتؤكد على ضرورة حفظ خمس: الدين . النفس . العقل . المال . العرض وهي تهدف إلى صون كرامة الفرد المسلم ضمن مجتمعه. كما يرجح الفقهاء تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

. فقه الحاجيات: نظرا لتكامل ما ينتفع به الناس داخل المدينة وحاجاتهم الى المرافق عند الضرورة . على سبيل التوضيح . مثل الحمامات، الخانات. فقد وضع لها الفقهاء ضوابطا لتنظيمها والانتفاع بها.

. فقه التحسينات: أباحت الشريعة الاسلامية التجمّل والتنميق وتوسع من غير اسراف، فما لا يحدث به ضررا للعامة يسمح بأن يعتمد في عمران المدن.

إن تأسيس المدن الإسلامية كان مؤشر مهم في حركة التوسع الجغرافي، حيث شكل التأسيس تتمة مرحلة وبداية موالية. وباكتمال المدينة الأولى . المنورة . كان الانتقال إلى الشام لتؤسس مدن أخرى . البصرة والكوفة .، تلاها فتح مصر . الفسطاط . وتوسع في إفريقية و الأندلس . القيروان وقرطبة .. فكل امتداد رافقه تأسيس مدن وتعمير أخرى، وبالتالي أسهمت المدن الإسلامية في التمكين للمسلمين وحفظ دينهم والتنعم بممتلكاتهم.

اهتم بالكتابة عن المدينة الإسلامية والعمارة المفكرين العرب والمسلمين وكذا الأجانب والمستشرقين على حد سواء. وكل منهم كانت له مرجعيته في ذلك وظهر لديهم اشكال مرجعية المدينة والعمارة الإسلامية وأصولها، إلا أن العمران الإسلامي يستحق أن ينظر اليه من زاوية نظر المفكرين المسلمين لخصوصية الانتماء الديني و البيئي، بمعنى آخر لدراية هؤلاء بطبيعة المجتمع الإسلامي وقيمه وأعرافه(الملحق رقم:01).نتيجة ذلك أصبح الفقه الإسلامي ليس فقط مرجعا أساسيا للتخطيط العام للمدن وإنما تجاوز للتخطيط للعلاقات الإنسانية. ولم يكتف المسلمون خلال توسعهم باستغلال المدن التي فتحوها وإنما بالموازاة عمدوا إلى إنشاء مدنا أخرى ميزتهم وتميزت بما يظهر تحكمهم في التحكم في الفراغ وشهدت مدن على ذلك منها مدينة المنصور . المدورة .(الشكل:02) التي أبدى فيها عبقرية تحصينية شديدة وحضرية. كما كان للمدينة شروط لتأسيسها (عبيد،2013، الصفحة41)كان لها شروط أخرى لتحقيق تطورها (طرشاوي، الصفحة 79 – 84) .(الملحق:02).

(الشكل:02) مخطط مدينة بغداد

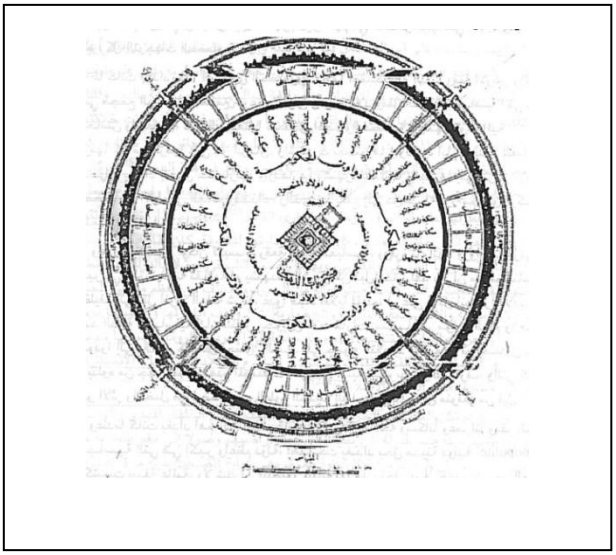

المصدر: طه خضر عبيد،المدينة الإسلامية،ص104

7 –2 نماذج معمارية حضارية:

عديدة هي المباني في التاريخ الإسلامي التي أبدع فيها المسلمون وميزت فنهم، أولها المسجد النبوي بالمدينة المنورة، تخطيطه أصل العمارة المسجدية وملاحقها. و عرفت المساجد اللاحقة له هندسة متفوقة وفنا معماريا أكمل اتحافها بما قد يليق بتعظيمها. منها المسجد الجامع بقرطبة (الصورة:01) ومسجد القيروان بتونس. والتي ظهرت فيها ابتكارات معمارية فاقت مع عرفت لدى الحضارات السابقة سابقا. في أنواع من العقود وتحديدا العقد المتجاوز بمسجد القيروان والذي أصبح أكثر تحملا للثقل، والعقود المتراكبة بمسجد قرطبة والتي مكنت من الزيادة في رفع الأسقف زيادة في توسيع الفضاء الداخلي للمسجد لكبر حجمه وزيادة في التهوية والإنارة الطبيعية.

(الصورة:01) المسجد الجامع بقرطبة . الأندلس

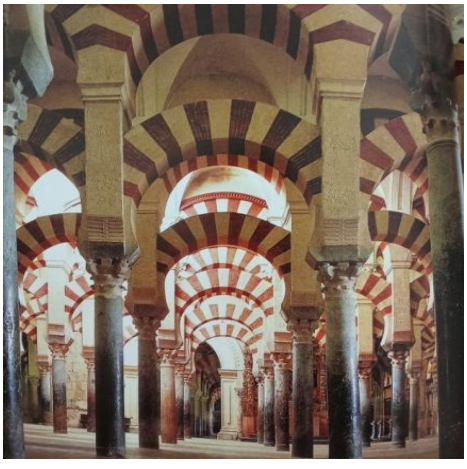

المصدر: Bernard O'Kane,Trésorz du l'Art Musulman, p 41

يتسع الحديث عن العمارة الإسلامية بأنواعها؛ الدينية و المدنية و العسكرية، فهي إضافة إلى المساجد والأربطة والمدارس عرفت القصور والحمامات والخانات وعديد المرافق الخدمية كالأسبلة ، التي تكاملت أدوارها وتميز تصميمها بما يخدم البيئة الإسلامية.

7 –3 نماذج صناعية فنية حضارية:

عديدة هي النماذج التي يمكن التأكيد بها على تنوع الفنون التطبيقية في ظل الحضارة الإسلامية، نقتصر هنا على نموذج من الصناعة المعدنية (الصورة:02) التي أبدع الفنان في إنجاز نماذج متنوعة الأشكال والأحجام.

(الصورة:02) إبريق من النحاس

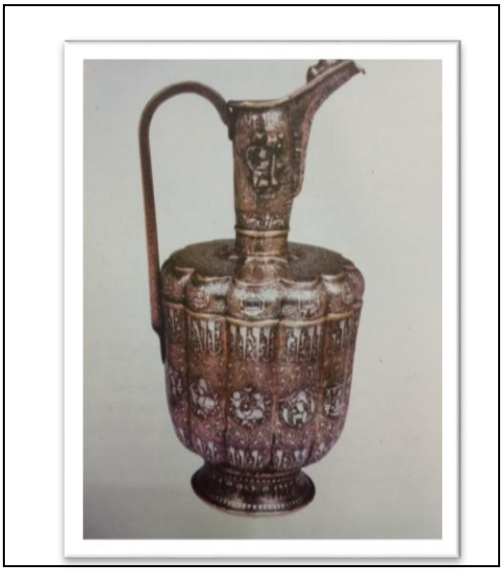

المصدر: Bernard O'Kane, Trésorz du l'Art Musulman, p 41

7 –3 –1 الخزف ذو البريق المعدني:

يعتبر الخزف ذو البريق المعدني (الصورة:03) من الابتكارات الإسلامية في الصناعة الخزفية (شريقي، 2012 الصفحة451) حيث اعتمد الفنان على الأكاسيد وتحكم في الكيمياء وحقق الفارق في هذه الصناعة. واهتداءه إلى اللون الذهبي وما يميل إليه إنما لغرض تعويض أواني الذهب والفضة التي نهى الدين الإسلامي على اتخاذها للشرب.

(الصورة:03) صحن خزفي ببريق معدني مزخرف بخط النسخ (القرن3هـ)

المصدر: زكريا شريقي، الفن العربي الإسلامي، ص451

7 –4 نماذج زخرفية حضارية:

عرف التاريخ الإسلامي نماذج رائعة من الزخارف التي لازمت كل أنواع الفنون . العمارة والصناعات . وإن ما جاد به الفنان المسلم من تجسيد للجمالية بزخرفة كل ما هو موحد اللون لينقله زيادة تحقيق الجاذبية ومتعة النظر حيث "استخدمت العناصر الزخرفية سواء كانت نباتية أو هندسية أو حيوانية لتحقيق أهداف فنية وجمالية"(الدليمي،2016، الصفحة 194).

7 – 4 –1 الرقش العربي:

لم يكتف الفنان السلم بالاستخدام المستقل لكل نوع من الزخارف، حيث أوصلته مهارته وذوقه الفني بأن أحدث مزجا رائعا بأن ألَّف بين الزخرفة النباتية(الصورة:04) والهندسية ومعها أحيانا الحيوانية وأحيانا أخرى الكتابية وأنتج منه نوعا جديدا من الزخرفة عرفت بالتوريق لتداخل الأغصان والأوراق فيها بدقة متناهية معتمدا فيها على تصميم هندسي بالغ التعقيد وصف بالبراعة الفنية المطلقة يبين نايف خصائصه فيذكر(نايف،1988 ،الصفحة16) "تتصف تكوناته بالتكرار والتناظر والحركية وتعود أصلا إلى أشكال أولية مأخوذة من الطبيعة مثل الأزهار واوراق الشجر "كما لا يقف عند هذه المكونات وإنما يتجاوز(نايف، 1988،الصفحة16) (إلى إدخال الأشكال الهندسية الأساسية كالدائرة و المربع و المثلث". ويسترسل نفس المؤلف للتعبير عن المدلول الروحاني للرقش العربي بأن يرمز إلى (نايف،1988، الصفحة 16) "أبدية الخالق وسرمدية الوجود".

(الصورة:04) الرقش العربي(نموذج من الرقش النباتي)

المصدر: وجدان علي نايف، الامويون، العباسيون، الأندلسيون، ص106

7 – 4 – 2 الخط العربي:

لم يقتصر استخدام الخط العربي على نقل المعارف بالتدوين أو النقش على اللوحات الحجرية أو الرخامية أو الخشبية وعلى المواد التي استجابت لتنفيذه عليها وإنما استخدم كعنصر زخرفي في صدارة العناصر التي ميزت الفن الإسلامي. فالخط العربي الأكثر تعبيرا عن الرمزية والحيوية، ممثلا بطواعية كبيرة في تنفيذه على جدران العمائر والأثاث والأواني ذات الاستخدام اليومي أو التزييني (الصورة:05). استجابت حروفه لمختلف أنواعه كالنسخ والكوفي . وغيرهما كثير.. وأضحى الأكثر تعبيرا عن الوحدة الفنية مع تنوعها في الفن الإسلامي لمرونته وهو الذي عرف تطورا في صور حروفه وتجاوز أن انتقل به حدس الفنان إلى أن يزيده جمالا بالفروع النباتية، وحفظ له مرتبة المقدس بجمالية خاصة وهو ما ينطبق على الخط الكوفي.(الألوسي،2018،ص61).

(الصورة:05) قنديل من الزجاج به زخرفة بالخط العربي (بمتحف الميتروبوليتان بنيويورك)

المصدر: زكريا شريقي، الفن العربي الإسلامي،ص253

خاتمة:

حقق الإطار القيمي الإسلامي أمة تكاملت فيها أسس حضارية مستمدة من ثابت وأساس في الإسلام هو التوحيد، فهو مفتاح كل حقيقة. كما تمثّل الجوهر العقدي الإسلامي في مناحي الحياة وسلوكات الأفراد الذين أسموا في بناء الحضارة الإسلامية على مد حيزها الجغرافي. حيث كانت الأسس الحضارية العمود الذي قادها ونالت به رفعتها. وبقدر ما كان لمجالات مثل العلوم والتجارة ـ على سبيل المثال ـ دورها في المستوى الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في أزهى عصورها من حسن استيعاب الأقوام واحتوائهم، فإن الجمالية بمعاييرها رسمت الجمال على الأبنية كما على الآنية وعلى الصنائع. وكان لإنتاج القطع الفنية وزنه في الحضارة الإسلامية ولم تقل أهمية في تمتين ركائزها.

أخذ التوحيد مسارا بحيث نرى أثاره على السلوك الفردي والجماعي ونراه فيما أنتجه الفكر والأحاسيس من إنتاج مادي، بين عمارة وصناعة وزخرفة. ووفقه ـ التوحيد ـ تميّز الفن الإسلامي بخصائصه التي مكنت من قراءته قراءة مستقلة عن الفنون الأخرى. وتعد البيئة الإسلامية خير حاضنة لهذا الفن، الذي أبدع فيه الفنان المسلم على امتداد جغرافية العالم الإسلامي، في إتقان المعالم البنائية وأظهر براعة في التحكم في تقنيات وأساليب الإنشاء والصناعة. كما أنه ابتكر من المرافق العمرانية والعناصر المعمارية والزخرفية. وعرف الخزف ذو البريق المعدني قيمته الصناعية والفنية، ناهيك عن استخدامات الخط العربي في الزخرفة على مختلف المواد والأسطح وكان الأكثر تعبيرا عن الهوية العربية.

ساير المد الإسلامي أزهى فترة في التاريخ الإسلامي وهي الفترة العباسية التي تفك بجدارة موقعها ونعتها بفترة الحضارة الإسلامية. ولم يقف تأثير الإنجازات في حدودها الجغرافية وإنما امتد إلى أقاليم اعترفت للحضارة الإسلامية بتميزها ونجاحها، فاستلهمت ما واكب ماديتها، إلا أنها غفلت عمّا ولّد هذه الحضارة وكان عاملا أساسيا في قوتها ألا وهو التوحيد.

مما سبق يمكن تأكيد أن منطق الحضارة عموما اعترف بتفوق القيم والفنون في ظل الحضارة الإسلامية. التي نعتقد أنها أثرت بقيامها حين سايرت شروطها وفق أصالة المرجعية الحقيقية.

اقتراحات وتوصيات:

. تعد مسؤولية التعمير من الشؤون التي تهتم بها الدولة لتحقيق التكامل داخل المدينة، في إطار الاستقرار السياسي والأمني مع وجوب النظام العام والحرص على تطبيقه حيث من نتائجه استقرار المجتمع. والذي يعتبر مهما جدا في توليد الطاقات الإنتاجية.

. ضرورة توحيد الضوابط القيمية الإسلامية داخل المدينة لتحقيق تناسقها، فهي من الثوابت السلوكية.

. عبّر العمران الإسلامي عن امكانية تطبيق القيم الإسلامية وتجسيدها، دليله نماذج من المدن الإسلامية التي تحققت فيها مظاهر التمدن الإسلامي فالمدينة ليست شكلا ماديا محضا وإنما حركية للنشاط الفكري الانساني وفق مرجعية، وهو ما يعطيها تميزا.

. أهمية اقتباس تخطيط وتصاميم المعالم البنائية التي تفوقت في مظهرها لإحيائها.

. فيما يخص الصناعات الفنية فإن ما رأيناه في عديد المتاحف وما هو في طيات الأطالس والمدونات من نماذج لجدير بإعادة تجسيدها.

. بقدر انبهارنا بالإنتاج الفني الإسلامي الذي تبلور في إطار من العقيدة لا يصعب تكراره.

الملاحق:

(**الملحق رقم:01**) : اهتم المفكرين المسلمين ممن نظروا للعمران وعلى نهج أو يوازي نهج ابن خلدون نجد أبو عبد الله ابن الأزرق (بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة و تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب (د.ت) الذي تأثر بمنهج ابن خلدون واعتمد على الفلاسفة والعلماء من عرب وغيرهم ويقدم رأيه أيضا فيما تعلق بالعمران الاسلامي، حيث يربط العمران والتطور الحضري بالتطور السياسي والاجتماعي والعدل .ويركز على العلم في العمران البشري.

(**الملحق:02**) عوامل نشأة المدن حسب مارد عند ابن أبي الربيع (3هـ.9م) فإن شروطا قيمة لتحقيق مدينة مستقرة: سعة المياه المستعذبة . وفرة الميرة المستمدة . اعتدال المكان وجودة الهواء . القرب من المراعي والاحتطاب . تحصين المكان من الأعداء. أما ابن أبي زرع(8هـ.14م) فيجعل خمس شروط: النهر الجاري والمحرث الطيب والمحطب القريب والأسوار الحصينة والسلطان).

أما العوامل الأساسية التي اسهمت في تطور المدينة فهي:

العامل العسكري: القواعد العسكرية التي أسسها الفاتحون تحولت إلى مدن بعد استقرار الدولة الإسلامية.

العامل الجغرافي: الطبيعي . الموقع: نعني هنا مدن المعسكرات كان لاختيار مواقعها معيار أن لا يحول بينها وبين مركز الخلافة (عمر بن الخطاب) بحر ليسهل المدد و أن يختار لها موقعا ترعى فيه الإبل ، و كان على أساسهما بناء الكوفة مثلا .. كما استقر المسلمون باتجاه البر و لم يتخذوا من المدن الكبيرة البيزنطيين أو الفارسية مركزا لهم و إنما تحولوا عنها.(من المدائن إلى الكوفة، من الاسكندرية إلى الفسطاط، من قرطاجة إلى القيروان، من انطاكية (الشام) إلى دمشق)من الكوفة الى بغداد و سامراء ، وكانت واقعة على الطرق مما سمح لها بالتطور السياسي والحضاري وتكمن أهمية الموقع فيما تحوزه المدينة من تسهيل التبادلات التجارية والاقتصادية وغيرها. حيث يتضمن ها العامل دور البيئة الانتاجية (أراضي ومصادر مياه خاصة) في نشأة المدن وتطورها وازدهارها خاصة ما لدور الأسواق في شهرة المدينة والتوافد عليها.

العامل الأمني (التحصين): شروط بيئية وجغرافية عسكرية دفاعية مثل ما فعل عقبة بن نافع في اختطاط القيروان فإنه ابتعد عن الساحل (البحر) تفاديا لهجوم الروم.

العامل السياسي: التحول نحو العواصم الجديدة، نتيجة وجود كثرة الأنصار (علي كرم الله وجهه حين غير مقر الخلافة من المدينة المنورة إلى مدينة الكوفة) كما قام معاوية بن أبي سفيان بنقل عاصمته من الكوفة إلى دمشق. بعده أبو جعفر المنصور الذي أسس مدينة بغداد التي نقل إليها مقر حكمه. وهو ما انتهجه هارون الرشيد الذي ابتعد عن بغداد واتخذ الرقة عاصمة له. وهو ما أقدم عليه أيضا ابن طولون حين تأسيسه القطائع وجعلها عاصمة بعد العسكر التي سبقتها

الفسطاط. وجعل الفاطميون القاهرة مقر حكمهم. كما اتخذت المدن أسماء مؤسسيها مثل: المهدية والمستنصرة والمتوكلية... ويعد العامل السياسي عامل بناء أكثر منه تأسيس وهو في جوهره مفهوم للتأسيس..

العامل الإداري: المدن التي "أنشأت لتكون مركزا لإدارة الإقليم أو الولاية، يقيم فيها الوالي ومنه يقوم بتعيين النواب والعمال على المدن الأخرى وبالتالي تصبح مدينة بها ديوان وقضاء.

العامل الديني: عامل الجذب لشهرة المدينة دينيا بمساجدها و مراكزها التعليمية. (مكة والمدينة المنورة والقاهرة وتونس)، أيضا مركزية المساجد الجامعة واستقطابها للمؤسسات الأخرى حولها. ويمكن اعتبار الأضرحة (مدفن الإمام علي في النجف في العراق الذي يعد عامل دينيا اسهم في تطور المدينة حيث بنيت المساكن والأسواق ونشطت فيها الصناعة والتجارة).والمدن الواقعة في طرق الحج والتي يكثر بنيانها ويتنوع.

المصادر و المراجع :

. اسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياس الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية. ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة ، مراجعة:رياض نور الله،الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، 1998.

. أنوار علي علوان عباس القره غولي، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان، 2015.

. توفيق حمد عبد الجواد،العمارة الإسلامية فكر وحضارة، مكتبة الانجلو المصرية،(ب. ت).

. زكريا شريقي، الفن العربي الإسلامي، الجذور والمؤثرات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،2012.

. صفا لطفي الآلوسي، قراءة جمالية وتاريخية في التطور في الفنون، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الدار المنهجية،عمان، 2016.

. صفا لطفي الألوسي، الفنون العربية والإسلامية، مقولات دلالية وأنساق جمالية،الطبعة الأولى، الرضوان، عمان،2018.

. طه خضير عبيد، المدينة الإسلامية ،تاريخها و تخطيطهاو عوامل ازدهارها و انحطاطها،الطبعة الأولى،دار الفكر،2013.

. عادل الألوسي،الخط العربي، نشأته وتطوره،الطبعة الأولى ، مكتبة الدار العربي للكتاب،2008,

. عطية وزه عبود الدليمي، الخط العربي والزخرفة الإسلامية . تاريخه . أدواته . مدارسه . تطبيقاته . الطبعة الأولىن الرضوان،عمان، 2016.

. قاسم عبده قاسم، الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 2013.

. محمد عبد الله الدرايسة وعدلي محمد عبد الهادي، الزخرفة الإسلامية، الطبعة الأولى،مكتبة المجتمع العربي،الأردن،2014.

. وجدان علي بن نايف، الأمويون– العباسيون – الأندلسيون، الجزء الأول، دار البشير للنشر والتوزيع،1988.

References :

Ismā‘īl Rājī al-Fārūqī wlws lmyās al-Fārūqī, Aṭlas al-Ḥaḍārah al-Islāmīyah. tarjamat : ‘Abd al-Wāḥid Lu’lu’ah, murāja‘at : Riyāḍ Nūr Allāh, al-Ṭab‘ah al-ūlá, Maktabat al-‘Ubaykān, 1998.
Anwār ‘Alī ‘Alwān ‘Abbās al-Qarah Ghūlī, al-anẓimah al-taṣmīmīyah lzkhārf al-masājid al-Islāmīyah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, Dār al-Riḍwān lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ‘Ammān, 2015.
Tawfīq Ḥamad ‘Abd al-Jawwād, al-‘Imārah al-Islāmīyah fikr wa-ḥaḍārah, Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, (b. t).
Zakarīyā Shirayqī, al-fann al-‘Arabī al-Islāmī, al-judhūr wa-al-mu’aththirāt, Manshūrāt al-Hay’ah al-‘Āmmah al-Sūrīyah lil-Kitāb, 2012.
Ṣafā Luṭfī al-Ālūsī, qirā’ah jamālīyah wa-tārīkhīyah fī al-taṭawwur fī al-Funūn, al-juz’ al-Thānī, al-Ṭab‘ah al-ūlá, al-Dār al-manhajīyah, ‘Ammān, 2016.
Ṣafā Luṭfī al-Ālūsī, qirā’ah jamālīyah wa-tārīkhīyah fī al-taṭawwur fī al-Funūn, al-juz’ al-Thānī, al-Ṭab‘ah al-ūlá, al-Dār al-manhajīyah, ‘Ammān, 2016.
Ṣafā Luṭfī al-Alūsī, al-Funūn al-‘Arabīyah wa-al-Islāmīyah, Maqūlāt dalālīyah w’nsāq jamālīyah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, al-Riḍwān, ‘Ammān, 2018.
Ṭāhā Khuḍayr ‘Ubayd, al-Madīnah al-Islāmīyah, tārīkhuhā wa tkhṭyṭhāw ‘awāmil azdhārhā wa anḥṭāṭhā, al-Ṭab‘ah al-ūlá, Dār al-Fikr, 2013.
‘Ādil al-Alūsī, al-khaṭṭ al-‘Arabī, nash’atuhu wa-taṭawwuruh, al-Ṭab‘ah al-ūlá, Maktabat al-Dār al-‘Arabī lil-Kitāb, 2008,
‘Aṭīyah wzh ‘Abbūd al-Dulaymī, al-khaṭṭ al-‘Arabī wa-al-zakhrafah al-Islāmīyah tārīkhuh adawātuh madārisuhu taṭbīqātih al-Ṭab‘ah al’wlán al-Riḍwān, ‘Ammān, 2016.
Qāsim ‘Abduh Qāsim, al-Ḥaḍārah al-‘Arabīyah al-Islāmīyah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, ‘Ayn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, 2013.
Muḥammad ‘Abd Allāh aldrāysh w‘dly Muḥammad ‘Abd al-Hādī, al-zakhrafah al-Islāmīyah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, Maktabat al-mujtama‘ al-‘Arabī, al-Urdun, 2014.
. Wijdān ‘Alī ibn Nāyif, al’mwywn-al-‘Abbāsīyūn – al-Andalusīyūn, al-juz’ al-Awwal, Dār al-Bashīr lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1988.